[فضل الذكر والعطاء والمواساة في رمضان]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْجُلَّى، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ الْعُظْمَى، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ شَهْرَ الصِّيَامِ فُرْصَةً لِلتَّكَافُلِ وَالتَّضَامُنِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَجَعَلَ قُلُوبَ عِبَادِهِ أَوْفَقَ لِلتَّحَلِّي بِالسَّخَاءِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْبَغْضَاءِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اَلْإِسْوَةُ الْحَسَنَةُ وَالْقُدْوَةُ الْمُثْلَى فِي إِسْدَاءِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَجَمِيلِ الْخُلُقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُفِي الْإِيْمَانِ

هَا هُوَ شَهْرُ الصِّيَامِ قَدْ مَضَى مُعْظَمُهُ وَبَقِيَ أَعْظَمُهُ، لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (اِعْتَكَفَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَشْرَ الْأُوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ: اَلَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: اَلَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ. وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ - وَهِيَ قِطَعٌ مَنَ السَّحَاب رَقِيقَةٌ -، فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ – وَهِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ – تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ).

عِبَادَ اللهِ؛ فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى تَحَرِّي النَّبِيِّ ﷺ لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَحِرْصِهِ عَلَى اغْتِنَامِ فَضْلِهَا، وَحَثِّهِ أَصْحَابَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهَا فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ). وَشَدُّ الْمِئْزَرِ كِنَايَةٌ عَنِ الِاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى إِشْرَاكِ الْأَهْلِ فِي هَذَا الْجُهْدِ الْمُبَارَكِ الْمُثْمِرِ؛ وَمِنْ أَهَمِّ الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ:

أَوَّلاً: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى؛ لِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اَللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي). وَقَوْلُهُ ﷺ: (تُحِبُّ الْعَفْوَ) أَيْ: تُحَبُّ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، خُصُوصًا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ حَتَّى يُحِبَّهُ اللهُ تَعَالَى. وَهَذِهِ مِنْ ثِمَارِ هَذَا الذِّكْرِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ، فَلْيَعْفُ عَنْ عِبَادِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ فَلْيَغْفِرْ لِعِبَادِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْفَحَ اللهُ عَنْهُ فَلْيَصْفَحْ عَنْ خَلْقِهِ.

ثَانِيًا: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؛ وَهِيَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ؛ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَرْبِطُ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَ عِبَادَاتٍ، وَتَعْتَبِرُهَا تِجَارَةً رَابِحَةً لَنْ تَبُورَ وَلَنْ تَكْسُدَ عَلَى صَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ هُوَ مَجْزِيٌّ عَنْهَا أُجُورًا كَثِيرَةً بِالْجَزَاءِ الْأَوْفَى، مَعَ مَغْفِرَةِ اللهِ لِذُنُوبِهِ وَشُكْرِهِ لِأَعْمَالِهِ، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

ثَالِثًا: اَلْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَهُوَ مِنَ الْبَرَاهِينِ الصَّادِقَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ بِاللهِ تَعَالَى وَبِوَعْدِهِ الصَّادِقِ إِذْ يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾. وَيَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (اَلصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ). وَأَفْضَلُهُ مَا صَادَفَ زَمَانًا فَاضِلًا كَرَمَضَانَ، وَحَالًا مُلِحَّةً كَحَاجَةِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ. وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْمُكَفِّرَاتِ لِلذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ). يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: وَفِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ صَرْفُهُ مِنْ فَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَشُحِّهِ عَلَيْهِمْ وَشُغْلِهِ بِهِمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرِ. فَدَفْعُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ بِلُزُومِ الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا أَعْظَمَ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ، وَمَا أَعْظَمَ فَضْلَ اللهِ فِيهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَهَنِيئًا لِمَنِ صَامَهُ وَصَانَهُ وَقَامَهُ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ زَانَهُ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْـمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، اَلْهَادِي إِلَى صِرَاطِ اللهِ الْـمُسْتَقِيمِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

نَسْتَفِيدُ مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالْإِنْفَاقِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَامَّةً، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ خَاصَّةً، وَمَا يَخُصُّهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَزِيدِ عَمَلٍ وَذِكْرٍ وَتِلَاوَةٍ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَمِنَ الْعَطَاءِ وَالتَّضَامُنِ وَاتِّقَاءِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ تَأَسٍّ وَاقْتِدَاءٌ وَاهْتِدَاءٌ بِالْحَبِيبِ الْـمُصْطَفَى ﷺ، اَلَّذِي يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَّا يَخْشَى الْفَقْرَ.

كَمَا نَسْتَفِيدُ أَنَّ خَصْلَةَ الْعَطَاءِ وَالسَّخَاءِ الْـمُتَأَصِّلَةَ فِي نُفُوسِ الْـمُؤْمِنِينَ نَابِعَةٌ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَسِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذْ يَعْتَبِرُونَ رَمَضَانَ مَدْرَسَةً لِتَطْهِيرِ النُّفُوسِ مِنَ الشُّحِّ، وَحَثِّهَا عَلَى الْـمُسَارَعَةِ إِلَى الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحْوَجَ إِلَى الصَّدَقَةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْـمَسَاكِينِ، مِنْ حَيْثُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ، كَانَ الشَّعْبِيُّ يَقُولُ: مَنْ لَّمْ يَرَ نَفْسَهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى صَدَقَتِهِ، فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ. يَعْنِي إِذَا كَانَ يَمُنُّ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ.

وَعَلَى هَذَا النَّهْجِ سَارَ سَلَفُنَا فِي هَذِهِ الْـمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ، عِنْدَمَا تَهُبُّ عَلَيْهِمْ نَسَائِمُ رَمَضَانَ، يَجُودُونَ بِمَا يَمْلِكُونَ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي إِسْدَاءِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَلَنَا فِي وليِّ أمرنا خادمَ الحرمينِ الشريفين ووليَّ عهدِهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي تَقْدِيمِ الْـمُسَاعَدَاتِ السَّخِيَّةِ وَالْعَطَايَا الْجَمَّةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْـمَسَاكِينِ وَالْأُسَرِ الْـمُعْوِزَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَهُم ذُخْرًا وَمَلَاذًا لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَأَنْ يُمَتِّعَهُم بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُم سَائِرَ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ وَفِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

هَذَا؛ وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى الْهَادِي الْأَمِينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَـمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِيَ الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، خُصُوصًا الْأَنْصَارَ مِنْهُمْ وَالْـمُهَاجِرِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمَرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَّ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ، وليَّ أمرنا نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْهُ اللَّهُمَّ بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْـمُبَارَكَةِ سَوَابِغَ أَرْدِيَةِ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَقِرَّ عَيْنَهُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ الْـمَحْبُوبِ، اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ وَالِدِينَا، وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْـمُسْلِمِينَ، وَارْزُقْنَا فَضْلَ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ وَثَوَابَهُ، وَفَضْلَ هَذِهِ الْعَشْرِ الْـمُبَارَكَةِ، فَاقْبَلْ فِيهَا تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ فِيهَا حَوْبَتَنَا، وَاسْتُرْ فِيهَا عَوْرَتَنَا، وَآمِنْ فِيهَا رَوْعَتَنَا، اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ، وَالْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِمَاتِ، اَلْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.